

باب السنة

هجرة النبي ﷺ إلى المدينة

إعداد: زكريا حسيني محمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه. وبعد.. أخرج البخاري في صحيحه في حديث طويل عن عائشة في شأن هجرة أبيها (الصديق رضي الله عنه) جاء فيه قولها رضي الله عنها: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر، هذا رسول الله ﷺ متقنعا . في ساعة لم يكن يأتينا فيها . فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فاذن له، فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بابي أنت يا رسول الله، قال: فأني قل أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحابة بابي أنت يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: نعم. قال أبو بكر: فخذ بابي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. قال رسول الله ﷺ: بالثمن. قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقصعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق. قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليال، يببت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يُكْتَادان به إلا وعاه حتى ياتيها بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل. وهو لبن منحتهما ورضيفهما . حتى ينقع بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. واستاجر رسول الله ﷺ رجلاً من بني الدئل، وهو من بني عبد بن عدري هاديًا خريئًا . والخريت الماهر بالهداية . قد غمس حلقاً في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعده غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذ بهم طريق السواحل. [ح ٣٩٠٥].

المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رانا، قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

وقال البخاري رحمه الله: قال ابن شهاب: واخبرني عبد الرحمن بن مالك الدلجي . وهو

وعن الغار أخرج البخاري في باب قوله تعالى: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] عن أنس قال حدثنا أبو بكر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار

«ان رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابًا بياض. وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه، حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطلوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه، فبصُرَ برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتًا، فطلق من جاء من الأنصار - ممن لم ير رسول الله ﷺ - يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس، حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مرئيًا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة - فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هنا إن شاء الله المنزل. ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فسأومهما بالمرئيد يتخذه مسجداً، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فابى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً، وطلق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول:

«هذا الجمال لا جمال خيبر»

هذا أبر ربنا وأطهر»

ابن أخي سراقه بن مالك بن جُعْشُم - ان أباه أخبره انه سمع سراقه بن جُعْشُم يقول: «جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقه، إنني قد رأيت أنفاً أسوداً بالساحل أراها محمداً وأصحابه. قال سراقه: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا. ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فامرت جاريتي أن تخرج بفرسي - وهي من وراء أكمة - فتحبسها عليّ وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزججه الأرض، وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تقرب بي، حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقامت فاهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام، فاستقسمت بها: أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسي - وعصيت الأزام - تقرب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثُر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها ثم زجرتها، فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جثتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية. وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزاني ولم يسألاني إلا أن قال: أخف عنا. فسألته أن يكتب لي كتاب أمن. فأمر عامر بن فهيرة فكتب رقعة من آدم، ثم مضى رسول الله ﷺ.

قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير:

ويقول:

«اللهم إن الأجر أجر الآخرة
فارحم الأنصار والمهاجرة
فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسنم لي.
[ح ٣٩٠٦].»

وأخرج البخاري في باب كيف أخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق، فربح شيئاً من أقط وسمن فراه النبي ﷺ وضُرَّ من صُفْرَةٍ فقال النبي ﷺ: «مهيم يا عبد الرحمن» قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «فما سقت فيها؟» فقال: وزن نواة من ذهب، فقال النبي ﷺ: «أولم ولو بشاة». [ح ٣٩٣٧].

شرح الأحاديث

أولا الحديث الأول: [٣٩٠٥]:

قال ابن حجر رحمه الله:

قوله: «في نحر الظهيرة» أي أول الزوال وهو أشد ما يكون في حرارة النهار.

قوله: «هذا رسول الله متقنعا» أي مغطيا رأسه.

قوله: «فداء له» بالمدا وبالقصر.

قوله: «إنما هم أهلك» أشار بذلك إلى عائشة وأسماء.

قوله: «الصحابة» أي أريد المصاحبة.

قوله: «إحدى راحلتَي هاتين، قال: بالثمن» زاد ابن إسحاق «قال: لا أركب بعيرا ليس هو لي» قال: فهو لك، قال: لا، ولكن بالثمن الذي ابتعتها به.

قوله: «أحث الجهاز» أسرع جهاز، وفي رواية «أحب» والأول أصح.

قوله: «وصنعنا لهما سفرة في جراب» أي زادا في جراب، لأن أصل السفرة في اللغة الزاد الذي يصنع للمسافر، فاستعملت السفرة في هذا الخبر على أصل اللغة.

قوله: «ذات النطاق» وللكشميهني النطاقين

بالتثنية، والنطاق ما يُشد به الوسط، وقيل هو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى على الأسفل.

قوله: «فكمننا فيه» بفتح الميم ويجوز كسرهما أي اختفيا فيه.

قوله: «عبد الله بن أبي بكر» وقع في نسخة «عبد الرحمن» وهو وهم.

قوله: «ثقف» بفتح المثناة وكسر القاف ويجوز إسكانها وفتحها وبعدها فاء: الحانق.

قوله: «لقن» بفتح اللام وكسر القاف بعدها نون. السريع الفهم.

قوله: «فيدلج» أي يخرج وقت السحر إلى مكة.

قوله: «فيصبح مع قريش بمكة كبائت» أي مثل البائت، يظنه من لا يعرف حقيقة أمره لشدة رجوعه بغلس.

قوله «يكتأذان به» في رواية الكشميهني «يكتأذان به» من غير مثناة، من الكيد وهو طلب المكروه.

قوله: «في رسل» بكسر الراء وسكون السين، اللبن الطري.

قوله: «ورضيفهما» الرضيف اللبن المرضوف الذي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخواوته.

قوله: «حتى ينقع بها عامر» ينقع أي يصيح بغنمه، ووقع في رواية أبي زر «حتى ينقع بهما، أي يسمعهما صوته إذا زجر غنمه».

قوله: «هاديا خريتا» الخريت الماهر بالهداية كما فسر في الرواية.

قوله: «قد غمس حلفا» أي كان حليفا، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيماهم في دم أو خلوق، أو في شيء يكون فيه تلويث فيكون ذلك تأكيدا للحلف.

ثانيا: الحديث الثاني [٤٦٦٣]

قوله تعالى: ﴿إن الله معنا﴾ أي ناصرنا وحافظنا.

قوله: «فلم يرزاني» أي لم ينقصاني مما معي شيئاً.
قوله: «كتاب أُنْ» وفي رواية الإسماعيلي
«كتاب موادة»، وفي رواية إسحق «كتابا
يكون آية بيني وبينك».

قوله: «في رقعة من أدم» وفي رواية ابن
إسحق «فكتب لي كتابا في عظم أو ورقة أو
خرقة».

قوله: «يغدون» أي يخرجون غدوة.
قوله: «حتى يردهم» في رواية معمر «حتى
يؤذنيهم»، وفي رواية ابن سعد «فإذا أحرقتهم
الشمس رجعوا».

قوله: «أوفى رجل من يهود على أطم» أي
طلع إلى مكان عال فاشرف منه، والأطم هو
الحصن.

قوله: «مبيضين» أي عليهم الثياب البيض،
وقال ابن التين: يحتمل أن يكون معناه
مستعجلين.

قوله: «يزول بهم السراب» أي يزول
السراب عن النظر بسبب عروضهم له. وقيل
معناه: ظهرت حركتهم للعين.

قوله: «يا معاشر العرب» في رواية «يا بني
قَيْلَةَ» وهي الجدة الكبرى للأنصار الأوس
والخزرج.

قوله: «وأسس المسجد الذي أسس على
التقوى» أي مسجد قباء. ووردت روايات أنه
مسجد النبي ﷺ، ولا يمنع أن كلا منهما
أسس على التقوى. والله أعلم.

قوله: «وكان مَرِيْدًا»: أي وكان موضع
المسجد مريداً، والمريد هو الموضع الذي يجف
فيه التمر. وقال الأصمعي: المريد كل شيء
حبست فيه الإبل أو الغنم.

قوله: «في حجر سعد بن زرارة» كذا لأبي
ذر وحده، وللباقيين «أسعد» وهو الأصح.

قوله: «ينقل معهم اللبن» أي الطوب
المعمول من الطين الذي لم يحرق.

رابعاً: الحديث الرابع [٣٩٣٧]

قوله: «كيف أخى النبي ﷺ بين أصحابه»

قوله: «لو أن أحدهم رفع قدميه وأنا» وفي
رواية نظر تحت قدميه لأبصرنا. فيه مجيء لو
الشرطية للمستقبل خلافاً للكثير، وعلى هذا
يكون قوله حال وقوفهم على الغار، وعلى القول
الأكثر يكون قوله بعد مضيهم شكراً لله على
صيانتهما منهم.

قوله: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» معنى
ثالثهما: أي ناصرهما ومعينهما، وفي الحديث
منقبة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه.

ثالثاً: الحديث الثالث [٣٩٠٦]

قوله: «دية كل واحد» أي مائة من الإبل.

قوله: «رايت أنفا» أي في هذه الساعة.

قوله: «أسودة» أي أشخاصاً.

قوله: «فخططت بزجه» الزجُ الحديدية التي
في أسفل الريح.

قوله: «وخففت» أي أمسكته بيدي
وجررت على الأرض لئلا يظهر بريقه لمن بعد
منه.

قوله: «الأزلام» الأقداح وهي السهام التي لا
ريش لها ولا نصل، ونقل ابن حجر عن ابن
جرير قوله: كانوا في الجاهلية يعمدون إلى
ثلاثة سهام على أحدها مكتوب «افعل» وعلى
الثاني «لا تفعل» والثالث غفل. وقال الفراء:
كان على الواحد «أمرني ربي» وعلى الثاني
«نهاني ربي» وعلى الثالث غفل. فإذا أراد
أحدهم الأمر أخرج واحداً فإن طلع الأمر فعل،
أو الناهي ترك، أو الغفل أعاد.

قوله: «فخرج الذي أكره» أي لا تضرهم.

قوله: «حتى إذا سمعت قراءة رسول الله»: في
حديث البراء «فدعا عليه النبي ﷺ» وفي
رواية فقال: «اللهم اكفناه بما شئت» وفي
رواية: فالتفت النبي ﷺ فقال: «اللهم اصصره
فصرعه فرسه».

قوله: «ساخت» أي غاصت، وفي حديث
أسماء بنت أبي بكر «فوقعت لمنخريها».

قوله: «عثان» أي دخان من غير نار، وفي
رواية الكشميهني: «غبار» والأول أشهر قوله:

رضي الله عنه. ثم في طلبه ﷺ من سراقه أن يعمي عنهما وجعل ذلك مقابل إنجاء الله له ولفرسه.

ثالثاً: اختيار الصحاب في السفر، ولا سيما الرحلة الشاقة، والتي ظهر من خلالها حرص الصديق رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وعلى الدعوة، والاستعداد لفدائه صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وماله وولده ووالده وكل ما يملك ومن يملك.

رابعاً: الحرص على تأسيس المساجد وبنائها في أي موضع ينزل به الرسول ﷺ ويوجد به مسلمون، لإقامة الصلاة وذكر الله عز وجل فيها، إذ أن الصلاة من أعظم العبادات التي تربط العبد بربه. كما أنها كانت لكل الأمور الإسلامية من تفقد أحوال الفقراء وتعليم العلم، وتدبير شئون الدولة.

خامساً: عقد المؤاخاة بين المسلمين؛ سواء بين المهاجرين بعضهم وبعض أو بين المهاجرين والأنصار، فإن الأمة في ذلك الوقت بأفرادها كانوا في أمس الحاجة إلى هذه الأخوة وخاصة المهاجرين الذين تركوا أموالهم وأهليهم وضحووا بالغالي والنفيس فراراً بدينهم وفي سبيل الله عز وجل.

سادساً: بيان حقيقة اليهود كما جاء في حديث عبد الله بن سلام وقصة إسلامه، حيث أخبر النبي ﷺ أن اليهود قوم بهت يكتمون الحق وهم يعلمون.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما لم نعلم، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

ذكر ابن سعد بأسانيد الواقدي إلى جماعة من التابعين قالوا: لما قدم النبي ﷺ المدينة أذى بين المهاجرين، وبين المهاجرين والأنصار على المواساة، وكانوا يتوارثون وكانوا تسعين نفساً بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار، وقيل: كانوا مائة. فلما نزل «أولو الأرحام» بطلت المواريث بينهم بهذه المؤاخاة. قال السهيلي: أذى بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربية ويتانسوا من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد بعضهم أزر بعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم إخوة وأنزل «إنما المؤمنون إخوة» يعني في التوادد وشمول الدعوة.

هذا، وإن المتصفح للأحاديث الصحيحة الواردة في شأن هجرة النبي ﷺ وأصحابه من مكة «بلد البعثة» إلى المدينة «بلد الهجرة» وعاصمة الإسلام» ليجد من الدروس والعبر ما يجعل المسلمين لو استفادوا من هذه الدروس لأصبحوا في عزة ومنعة ولنذكر بعضاً من هذه الدروس.

أولاً: الأعداد السابق قبل البدء بالعمل فإن رسول الله ﷺ قد أعد للهجرة إعداداً جيداً من استئجار للدليل الماهر بالطرق، وتأمين للطعام والشراب عن طريق الراعي عامر بن فهيرة، واختيار للشباب اللقن الثقف عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما لياتيهما بأخبار أهل مكة وما يدبرونه لهما إلي غير ذلك من الإعداد. كما أن تجهيز أبي بكر للراحتين يُعد من ذلك الباب.

ثانياً: إخفاء الأمر على الأعداء الذين أرادوا به كيداً، فأبطل الله تدبيرهم ورد كيدهم في نحورهم يظهر ذلك في أمره ﷺ علياً لينام مكانه حتى يعمي على المشركين، ومن قبل ذلك في إتيانه بيت أبي بكر في وقت لم يكن يعتاد ﷺ أن ياتيه فيه، وتحققه ﷺ من عدم وجود من يمكن أن يفشي أمره ﷺ في بيت أبي بكر